٣٦ عطية عز الدين العلوى حفيد مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب

المعروف أن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ينفرد دون غيره من الصحابة الأجلاء بعبارة «كرم الله وجهه» وأما غيره فيقال له: رضى الله عنه ولذلك معنى ودلالة، فالذين رضى الله عنهم ورضوا عنه هم المؤمنون المتقون الذين ذكروا فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[1] وطبيعى أن يدخل فى هؤلاء الذين أنعم الله عليهم المؤمنون من الصديقين والشهداء والصحالين، وغيرهم ممن التزم بحدود الله فى أوامره ونواهيه. أما الإمام علىّ كرم الله وجهه وقد آمن صغيراً فلم يحدث أن وضع جبهته على الأرض سجوداً لصنم، حيث دخل الإسلام صبياً، ومن هنا كرّم الله وجهه، لأنه لم يسجد إلا لله عز وجل. وقد كان لهذا الصحابى الجليل أنصار وشيعة، كما كان لابنيه الحسن والحسين رضى الله عنهما أبناء وشيعة.. ومن هؤلاء الأبناء الشيخ عطية عز الدين العلوى الذى يمتد نسبه إلى الإمام الحسن رضى الله عنه.

وعنه تُحدثنا الروايات التاريخية القديمة والحديثة عن أن الشيخ عطية عز الدين العلوى الشهير فى دلتا مصر بالشيخ أبى الريش، والمدفون فى مدينة دمنهور، والذى يقام له مولد كل عام يتوجه إليه الناس.. فتذكر هذه الروايات بأن هذا الشيخ ينتهى نسبه إلى الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن العلوى، الذى فر إلى

(١) سورة البينة ـ الآيتان: ٧، ٨.

بلاد المغرب وأسس دولة الأدارسة هناك، حيث استقبلته القبائل وانتخبته زعيماً عليها لأسباب سياسية أكثر منها دينية.

كان ذلك فى عهد الخليفة هارون الرشيد فى حرب وقعت بين العباسيين والعلويين، انتصر فيها العباسيون فى موقعة «فخ»، التى استشهد فيها عدد كبير من العلويين وأتباعهم فى كثير من قبائل المغرب.

وحين دبَّ الضعف فى دولة الأدارسة بسبب مناوئة الفواطم رحل جد الشيخ أبى الريش إلى مكة المكرمة لينجب ابنه عز الدين الذى بقى بمكة لا يبرحها حتى بلغ الواحد والسبعين عاماً من عمره ولم يبرح حدود مكة المكرمة.

وفى هذا العمر المتأخر رحل إلى المدينة المنورة بدعوة من واليها الحسن بن طاهر الذى ينتهى نسبه إلى الإمام الحسين رضى الله عنه، لما سمع عن الشيخ عز الدين من التقوى والورع، والتفاف أقاربه من أبناء الحسن رضى الله عنه حوله كزعيم لهم، فرأى أن يستقطبه حتى لا يكون مناهضاً له، خاصة بعد أن التفَّ حوله أتباعٌ ومريدون.

وطبيعى أن يكون لوالد الشيخ أبى الريش دورٌ أساسى بعد لقائه مع ابن العم والى المدينة المنورة، وأن يكون هذا الدور فَعَّالاً فى شئون المدينة المنورة، وخاصة أن الأحوال كانت وقتئذ غير هادئة بفعل الصراع المحتدم بين العباسيين والأمويين وآل البيت.

وفى هذه الأثناء يولد بالمدينة المنورة شيخنا عطية عز الدين المشهور بأبى الريش، ليقضى كل وقته منصرفا إلى العلم على أيدى فقهائها وعلمائها، غير متقيد بمذهب أجداده من العلويين.. بل كان يقبل على الدرس والتفقه فى المذهب السنى المالكى. وفى مدرسة الإمام مالك تفوق الشيخ أبو الريش وتقدم وبرع فى المسائل الخاصة بمذهب مالك.. كما برع فى التفسير، سواء كان للقرآن الكريم، أو الحديث النبوى الشريف.

ولسعة علم الشيخ أبى الريش وتقواه ونسبه الطاهر للإمام الحسن انتقل إلى بغداد بدعوة من أهلها، ولكنه لم يستطع البقاء هناك طويلا، نظراً لاضطراب

الأحوال الناتجة عن الخلافات السياسية، فترك بغداد متوجهاً إلى مصر، فقد كانت هى الأمن والأمان لشيعة الإمام على كرم الله وجهه.

كان وصول الشيخ أبى الريش إلى مصر فى عهد الخليفة الظاهرالفاطمى.. هذا العهد الذى اتسم باللين والتسامح مع الذين يمثلون مذهب الشيخ أبى الريش حتى أصبحت تعاليم الإمام مالك والامام الشافعى والإمام أحمد بن حنبل تدرس فى عهد هذا الخليفة إلى جانب اجتهادات الشيخ أبى الريش.

وفى مصر نزل الشيخ أبو الريش بمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط، فتعلم وعلّم، وكان ورعاً تقياً، ولذا كثر أتباعه ومريدوه، حتى سمع به الخليفة الظاهر الفاطمى، فاستدعاه إلى مجلسه، وكان يقدمه على الأمراء والوزراء، بل كان يتردد عليه فى خلوته التى اتخذها الشيخ أبو الريش مقراً له بالقرب من أهرامات الجيزة، طالباً منه الدعاء أحياناً، والنصح أحياناً أخرى، وفى كلتا الحالتين كان هناك اقتناع بما يقول.

ولم يطل البقاء للشيخ أبو الريش فى هذه الخلوة القريبة من الأهرامات، حيث جاء إليه عرب الشرقية وطلبوا منه أن ينتقل إلى الشرقية، حيث ينتفع بعلمه وفضله ونسبه الشريف الكثير ممن يمثلون القبائل العربية، واستجاب لدعوتهم، وانتقل إلى بلبيس، وهناك أقام بخلوه لا تزال تعرف باسمه حتى الآن.. فيعرفها العامة والخاصة بخلوة الشيخ أبى الريش، مع أنه لم يُدفن فيها، وإنما دُفن فى مكان آخر كما ستعرف.

لكن المقام فى بلبيس بالشرقية لم يطل كثيراً للشيخ أبى الريش.. فحين عرف الخليفة المستنصر بالله الفاطمى بذلك استدعاه ليكون تحت نظره فى القاهرة، خوفاً من التفاف الناس حوله، مما يحدث الانقسام فى دولته.

وعاد الشيخ أبو الريش إلى القاهرة، وبقى فيها حتى تقلد الوزير بدر الجمالى بعض شئون الحكم فى عهد الخليفة المستنصر، وكانت لهذا الوزير تصرفات يضيق لها الشيخ أبو الريش ففر متخفياً إلى دمنهور وهناك عاش منقطعاً للعبادة والعلم والتعليم، وقد التف حوله الأتباع والمريدون لما لمسوا فيه من سعة فى العلم،

خاصة حين كان يفقههم فى أمر دينهم، ويوضح لهم ما اختلفت عليه المذاهب بأنه كان لصالح هذا الدين، سواء كان المذهب مالكياً، أو حنفياً، أو حنبلياً، فكل واحد من هؤلاء كان يلتزم حدود وتعاليم ومبادئ هذا الدين، وإن كانت هناك خلافات ففى المسائل الفقهية التى لا تنال من أساسيات هذا الدين الحنيف.

ولقد استفاد من علم وفضل هذا الرجل الصالح الكثيرون كما تقرر المصادر التاريخية حديثها وقديمها. وظل على هذا الحال حتى كانت وفاته عام ٤٨٤ هـ، وليقام له ضريح يُعرف باسمه فى دمنهور، كما يُحتَفَلُ كل عام بمولده، فيتوجه إليه قوم كثيرون من كل أقاليم مصر تبُّركاً به كأحد الصالحين الذين ينتهى نسبهم إلى الإمام على كرم الله وجهه.

* * *